أركان الدين

تمهيد

معنى الإسلام

الإسلام هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله، ويعني التسليم لله والانقياد له وتوحيده وطاعته كما أمر، واسمه كذلك من السلام الذي يعني الأمان.. ويذكر الله إبراهيمَ عليه السلام بقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٠-١٣١] وكل الأديان السماوية دعت إلى التسليم لله وحده ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩] والاختلاف بينها إنما هو في الشرائع ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٢٥].

هذا ويقوم الإسلام على أساسيات في العقيدة والتطبيق، تسمى أركانَ الدين، وهي قسمان : أركان الإيمان، وهي عقيدة المسلم، ومحلّها القلب. وأركان الإسلام، وهي عباداته الظاهرة، وقد يأتي المرء بالعبادات وقلبه على غير يقين

obeikandl.com

بالإيمان كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٤٩/ ١٤]. وهؤلاء هم المنافقون.

أولاً- أركان الإيمان

يتوجب على المسلم أن يتحقق في عقيدته أولاً بأركان الإيمان الستة؛ فيؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

الإيمان بالله

الله في الإسلام واحد مطلق الأحدية لا شريك له من زوجة ولا ولد ولا نِدٍّ ولا شبيه.. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى وهو ليس كمثله شيء.. ولا يحتاج إلى أحد، ويحتاجه كل أحد. يفعل ما يريد، إرادته مطلقة ولا إرادة لأحد معه. وهو خالق كل شيء، ويتصرف بالكون وما فيه ومن فيه.. ولا حركة ولا سكون إلا بأمره تكون. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٩] وهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية.

وفي الحديث أن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، وتقابل تسعاً وتسعين صفة، فهو الخالق لجوهر الوجود، الحكيم، العدل، الرحمن، القادر، العليم، الجبار، المحيي، المميت، ذو

الجلال والإكرام، الرزاق، الوهاب، المنتقم، العفو، الغفور.. إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى.

وعقيدة المسلم أنّ الله موجود بلا موجِد، وأنه رب العالمين. وأنه مالك الكون والمتصرف فيه، وأنه الإله المعبود وحده، لا يُعبد معه غيره.. وأن صفاته ليست كصفاتنا فحياته ليست كحياة أحد، وأفعاله وعلمه وقدرته وإرادته كذلك لا تشبه ما يقابلها بين المخلوقين. ولا يحتاج المسلم للوصول إلى الله أن يستعين بواسطة.. بل إنه يناجيه مباشرة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٦].

الإيمان بالملائكة والجن

ووجب الإيمان بالملائكة لذكرهم في القرآن، وهم مخلوقات نورانية لا يراهم الناس، خُلقوا قبل آدم الذي فضَّله الله عليهم، وهم مجبولون على الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهم درجات، وأصناف في أصل الخلقة، منهم جبريل المكلف بنقل الوحي إلى الأنبياء، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، وميكائيل الذي يسوق السحاب، وإسرافيل الذي ينفخ في الصور، ومنهم ملائكة النّعيم في الجنة، وملائكة العذاب في النار، منهم من يسجل أعمال الإنسان، ومنهم من يسوق الإنسان للحساب يوم القيامة ويشهد عليه، ومنهم من وكّل بحفظ الناس.

ويؤمن المسلم بالجن لوصفهم في القرآن كذلك، حُجبوا عن أنظار الناس ولكنهم يروننا. وهم مخلوقات أنشئت من نار في الأصل، وقبل أن يكون آدم. والجن على درجات في الإيمان والكفر كالبشر، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك. أجرى الله عليهم التكاليف مثلهم، ويحاسبون على ذلك جزاء وعقاباً، وضل ناس يظنون أنهم يعلمون الغيب، لأنه ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٢٧/ ٦٥]، لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا إذا أطلعه الله عليه. ولذا فلا يجوز اللجوء إلى العرافين والمنجمين، ومن آمن باطلاعهم على الغيب يكفر، لمخالفته صريح الآيات.. وقد سلط الله الضالين من الجن على البشر، يوسوسون لهم، ويزينون لهم الشر، ويحملونهم على الضلال والكفر.. والسعيد من يستطيع أن يجاهدهم، ولا ينحاز إلى ضلال المضلين منهم.

الإيمان بالكتب السماوية

وهي الكتب التي أنزلت على الأنبياء السابقين، وجاء الإسلام ليؤكد على الإيمان بها واحترامها، لأنها من عند الله، وذكر القرآن منها صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داوود، وإنجيل عيسى عليهم السلام.

الإيمان بالرسل

الرسل والأنبياء بشر، اختارهم الله لتأدية تعاليمه، وأرسلهم برسالته إلى أقوامهم. وصفاتهم صفات سائر الناس؛ يولدون

ويموتون مثلهم، ولا يختلفون عنهم في تكوين أجسامهم، يأكلون ويشربون، يتزوجون ويولد لهم، ويصحّون ويمرضون أمراضاً غير منفرة. وهم كذلك يخطئون أخطاءً لا تتعلق بالوحي ولا الرسالة، وإنما فيما يتصل بالأمور الدنيوية، وليس فيهم صفة من صفات الألوهية، بل لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله، ولا يعلمون الغيب إلا إذا أخبرهم الله به.. ولكنهم امتازوا عن الناس بصفة النبوة التي شرفهم الله بها، ومن أجلها أيدهم بالمعجزات لتكون حجة على أقوامهم. وهم يتصفون بصفات الكمال اللازمة للنبوة، وبالعقل الراجح والحجة القوية. ومن أهم صفاتهم اللازمة الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة والعصمة عن المآثم .

والعلماء يفرقون في التعريف والاصطلاح بين النبي والرسول ؛ فالنبي هو من أوحي إليه، ولم يطلب إليه التبليغ، في حين يؤمر الرسول بأداء ما نزل إليه من ربه، فكل رسول نبي، وليس العكس.

والرسل يبعثون إلى أقوامهم خاصة دون سواهم، وبعث محمد بن عبد الله ﷺ - وهو آخر الأنبياء والرسل - إلى الناس كافة.. ونُسخت برسالته الرسالات السابقة.

لم تتغير الحقيقة الأساسية للرسالات الإلهية القائمة على وحدانية الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن

الذي يتغير بينها قواعد السلوك الاجتماعي الذي توصل إليه الناس، والتشريعات المناسبة لتطورهم في الزمان والمكان، وقد تلقى بعض الرسل كتباً من السماء أوحى الله بها إليهم، في حين اتبع آخرون كتب سابقيهم.

وعدد الأنبياء والرسل لا يعلمهم إلا الله الذي ذكر في القرآن منهم خمسة وعشرين رسولاً، توجّب الإيمان بهم كلهم، جاءت قصصهم فيه مفصلة أو موجزة، وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط وإدريس وهود وثمود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. واختلف في آدم أبي البشر في كونه من المرسلين. وقد أخفى الله في صريح الآية ذكر رسل آخرين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨/٤٠].

الواجب على المسلم الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ؛ لا يفرق بين رسول ورسول؛ من ذكرهم الله في القرآن خصوصاً، ومن لم يذكرهم عموماً. كما وجب احترامُهم جميعاً، ورفعُ أقدارهم فوق الناس، لتشريف الله إياهم. وانتقاصُهم أو انتقاص أحدهم يؤدي إلى مطعن في العقيدة..

حقوق النبي محمد بن عبد الله ﷺ بعد موته :

وهذه الحقوق الواجبة للأنبياء يزاد عليها في حق النبي ﷺ وجوب طاعته على الوصف الذي جاء في الأحاديث الشريفة، وعدم الطعن بالأحاديث الصحيحة الواردة عنه فإنكارها ضلال وزيغ. ومن حقه علينا أن نحترم آله وقرابته ونحبهم. وقد قرر العلماء أن من واجبنا الاعتقاد بشرف صحابة النبي ﷺ وفضلهم، ورفعهم على من سواهم لاجتماعهم بشخص الرسول وصحبته، فلهم مكانة لا يبلغها من جاء بعدهم، ولا يجوز أن نتبرأ من أحد منهم أبداً. والذي عليه علماء جمهور المسلمين أن حبهم دين وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ومن حق النبي ﷺ أن نعتقد أنه بشر كما ذكرنا آنفاً وأن نقول هو عبد الله ورسوله. ولذا حذَّر قبل موته أن نسيء إليه بالاعتقاد الفاسد، وقال : «لا تتخذوا قبري عيداً»[١].

الإيمان باليوم الآخر

يؤمن المسلم أن وراء الموت يوماً يُبعث الناس فيه مرة أخرى للحساب على كل صغيرة و كبيرة. وموعد ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله، حتى الأنبياء فإنهم لا يعلمونه.. وهو يوم أليم

(١) مسند أحمد.

شديد كما ذُكر في القرآن. يكون بعده الثواب إلى الجنة والعقاب إلى الجحيم، جزاءً عادلاً من الله الذي يعفو عن ذنوب كثيرة.. إلا أنه لا يعفو عن الكفر كما أخبر عن نفسه عز وجـــــل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤/٤٨] وفي القرآن أوصاف عديدة ليوم الحشر وللجنة وللنار.. ليس هذا محل تفصيلها.

وقد أخبر النبيﷺ بعلامات اقتراب يوم القيامة منها أنّ رسالته من علاماتها، ومنها شيوع الغنى، والاستطالة في البنيان.. وقد ظهرت هذه العلامات كلها وهي ما يسمى العلامات الصغرى، وبقيت العلامات الكبرى، ومنها خروج الدجّال الذي يفتن الناس، ثم نزول المهدي والمسيح عليه السلام، وظهور نار في المشرق تحشر الناس إلى المغرب، ثم خروج دابة الأرض التي تكلم الناس.. وبعدئذ تشرق الشمس من مغربها، وهي آخر الآيات.

ويتبع ذلك أن يؤمن المسلم بالغيبيات التي ترافق اليوم الآخر، ومنها الإيمان بالميزان الذي تحسب فيه الأعمال الصالحة والطالحة، وبالصراط الذي يجوزه المؤمنون إلى الجنة، وحوض النبيﷺ فيها.

ومن الإيمان بالغيبيات الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وبالبرزخ الذي تؤول إليه أرواح الموتى قبل البعث.

الإيمان بالقضاء والقدر

القضاء علم الله في الأزل فيما سيكون، والقدر تحقق هذا العلم في الواقع كما عَلِمه الله. وفي الباحثين من يقول: بل القدر هو ما قدّره الله من قبل، والقضاء تحقق هذا القدر في الواقع كما كان تماماً في علم الله.

وعلى المسلم أن يرضى بالقضاء والقدر، ويعلم أن كل ما نزل به إنما هو من الله، فيلجأ إليه ليكشف عنه الضر إذا أصابه، ويشكره على السراء إن تولته نعمة منه.

وتعترض هنا مسألة كثر فيها الحديث، وهي : هل الإنسان مسيّر أم مُخيّر؟ وكيف يحاسب الله البشر فيعاقب المسيء ويكافئ المحسن إن كان كتب عليه شقاوته أو إحسانه؟ والجواب أن الله لا يحاسب إلا على ما فيه اختيار المرء من ذات نفسه من سَبْقِ النيّة فيما يفعل، والأعمال بالنيات، ولا يؤاخذ على ما لا يد للفاعل فيه.. لأن الله عادل مطلق العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس: ١٠/ ٤٤] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤١/ ٤٦].

أثر الإيمان في النفس

لا شك أن آثار الإيمان تتجلى في النفس على أحسن حال، فيرتفع حال الإنسان به إلى السموّ الروحي والنشاط الفكري،

وكذلك يصل إلى الراحة النفسية والسعادة، إذ يعلم أن الله هو الذي بيده مقاليد الأمور كلها صغيرها وكبيرها، وأنه هو الذي يقدّر الأقدار وليس لأحد سيطرة عليها فلا يخاف سواه، ولا يرجو غيره، فيلجأ إليه مباشرة، يدعوه عند نزول الضراء به، ويسأله العون والخير. ويعمل على رضاه.

ثم إن المؤمن الحق ينزع من نفسه كل مظهر من مظاهر الشرك، كعبادة الأشخاص وتقديسهم، ورفعهم فوق قدرهم، ومن مظاهر الشرك عبادة الهوى وعبادة المال، والجنوح إلى الشهوات المفرطة التي تُخرِج عن الإيمان..

ولما كان من إيمان المسلم أن الله يراه، ويطّلع على سره وجهره فإنه يراقب أعماله، فلا تزل به قدمه إلى الخطايا أو الظلم أو العدوان.. ومع هذه المراقبة سيكون الحساب على الصغيرة والكبيرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٩٩/٧-٨] ولذا يستقيم عمله وتصلح حاله.. ولا يعمل إلا الأعمال الصالحة.

ثانياً- أركان الإسلام

ويتوجب على المسلم بعدئذ أن يتحقق بأركان الإسلام الخمسة فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً.

الشهادتان

وهما نطق باللسان وتصديق بالقلب. ومتى نطق الفرد بهما دخل الإسلام، ولا يُسأل عما في قلبه، بل حسابه على الله، ويُقبل ما دام منسجماً مع تعاليم الدين..

وقد فصلنا في ألوهية الله بما مرّ آنفاً. ويضاف إليها هنا التصديق بالنبي محمد بن عبد الله ﷺ وبما جاء به من عند الله تصديقاً مطلقاً، ومعرفة حقه الواجب له شرعاً مثلما ذكر في الإيمان بالرسل.

ومن نطق بالشهادتين وأقر بتعاليم الإسلام لا يكشِفُ أحد عن سرائره، والله وحده هو الذي يحاسبه. له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

الصلاة

صلة بين العبد وربه مباشرة، لا تحتاج إلى واسطة ولا إلى مكان معيّن، بل إنّ الأرض كلها مسجدٌ وطهور.

وهي خمس فرائض في اليوم والليلة، ركعتان بعد الفجر، وأربع عند الزوال، وأربع عند العصر، وثلاث بعد المغرب، وأربع بعد غياب الشفق الأحمر.. فهذه سبع عشرة ركعة، بيّن النبي ﷺ كيفية أدائها، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[١].

---

(١) البخاري ٦٠٥.

obeikandi.com

ويؤدي المسلمون فريضة الظهر يوم الجمعة معاً، بعضهم مع بعض، ركعتين، تسبقهما خطبة للوعظ والتذكير..

ولا تحتاج الصلاة الواحدة إلى أكثر من عشر دقائق مع القراءة والخشوع والاتصال بالله تعالى.. ومن أراد الزيادة فلا حدّ لها، ولكن النبيﷺ أمر بالاعتدال والتوسط في تصرفات المرء فقال: «إن هذا الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فأوغلوا فيه برفق»[١]. والمهم في الصلاة الخشوع واستشعار عظمة الله. ودليل صحتها التزام المسلم بالاستقامة في حياته كلها.

وإلى جانب هذه الفرائض صلوات أخرى يُكلّف المسلم فيها اختياراً، تدخل في باب السنن والمستحبات والنوافل.. لمن شاء أن يؤديها تقرباً إلى الله تعالى.

وقبل الصلاة يتوجب على المصلي أن يكون طاهراً في بدنه من الجنابة للرجل والمرأة، ومن الحيض والنفاس للمرأة، وأن يكونا على وضوء، وأن تكون أبدانهما وثيابهما طاهرة من النجاسات.. فضلاً عن طهارة مكان الصلاة.. والتوجه فيها نحو الكعبة.

الزكاة

عبادة مالية بمقدار معلوم تؤخذ من الأغنياء، وتعطى

(١) كنز العمال ٣/ ٥٣٨٤.

لأصنافٍ، حصرها القرآن في ثمانية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٩/٦٠] وعدا عن فرض الزكاة فتح الدين مجالاً لا ينتهي للصدقات، فقال الله: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩/٩١]. والزكاة والصدقات تطهير للمال، وتنمية له عند الله، وهو من قولهم: زكا النبات إذا نما وزاد.

الصوم

ويكون بالامتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطّرات(١) خلال شهر رمضان من طلوع الفجر حتى غروب الشمس تعويداً للنفس على كسر عاداتها، والخروج بها من الاستغراق بالشهوات. ورخّص الدين بالإفطار لمن لا يقدر على الصوم خلال الأيام المفروضة، على أن يقضي فيما بعد إن استطاع بزوال الحالة المانعة، أو يدفع كفارة إن تعذر عليه. وللفقهاء تفصيلات.

وحث الإسلام الشباب على صوم التطوع خلال السنة تصعيداً لميولهم المادية واندفاعاتهم، وتدريباً لهم على التحمّل والصبر.

---

(١) من المفطرات الجماع والتدخين ودخول الدواء من طريق طبيعي في الجسم .

الحج

هو القصد إلى مكة وما حولها في أيام معيّنة من السَّنة للقيام بشعائر مخصوصة على نحو بيّنه النبيﷺ، فقال : «خذوا عني مناسككم»[١].

تبدأ شعائر الحج من حدود حرم مكّة التي حددها النبيﷺ، حيث يخلع الرجل ملابسه المخيطة، ويلفّ نفسه بإزار يستر نصف جسمه الأسفل، ورداءٍ يغطي أعلاه، ويبقى مكشوفَ الرأس، في حين لا تغيّر المرأة من لباسها شيئاً.

وحين يصل الحاجّ إلى مكة يطوف بالكعبة طواف القدوم ويسعى بين الصفا والمروة.. ويشتغل بالعبادة والذكر كلَّ أيامه، فإذا كان اليوم التاسع من شهر ذي الحجة وقف على جبل عرفات حتى تغرب الشمس، وعندها يتوجّه إلى المزدلفة، فيبيت فيها، فإذا انقضى الليل توجه إلى منى فيرمي فيها الجمرات رمزاً لتغلبه على شهواته ونفسه الأمارة بالسوء، وإن شاء تقرب إلى الله بالذبائح، أو كفّر بها عن مخالفة ارتكبها في شعائره. ثم ينحدر إلى المسجد الحرام، فيطوف حول الكعبة طواف الإفاضة. ويعود إلى منى فيبيت فيها ثلاثاً، يرمي خلالها الجمرات، حتى إذا انتهى من الرمي فرغ من حجه. وقبل عودته إلى بلده يطوف حول الكعبة طواف الوداع.

---

(١) مسلم.

وأعمال الحج وعباداته كلها تحمل رموزاً في اتصال الحاجّ بالله تعالى والخضوع له والخروج من شهوات النفس، ويتجلى في الحج المظهر العالمي الإنساني، وبصورة تلفت النظر، فهم يحجون على نحو ليس فيه تمييز لعرق أو لغة أو منطقة، ويتوحدون في أخوّة كاملة متساوية، يعيشون بعضهم مع بعض في الصحراء، ويؤدون شعائرهم معاً في وقت محدد، ويقفون معاً، ويقضون لياليهم تحت الخيام أو في العراء.. ويستشعرون عظمة الله والوحدة الإسلامية في توجههم نحو إله واحد، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

ملخص أثر العبادات في المسلم

العبادات من ثمرات الإيمان، بها يتصل المسلم بالله تعالى مباشرة دون واسطة من البشر، يناجيه فترتاح نفسه وتطمئن.. فيسعد في الدنيا قبل الآخرة.. وبها كذلك تزكو نفسه من الخطايا وتبتعد عن الآثام لأنّ العبادة الحقيقية الصحيحة الصادرة عن الإيمان تجعل المرء يلتزم بالطريق المستقيم ما دام يطلب بها رضا الله، والله لا يرضى عن مسلم غير ملتزم بالشرع.

ولكل عبادة آثار خاصة، فالصلاة الحقيقية تلزم المسلم الطريق الصحيح. وتجديد العهد بينه وبين الله طوال يومه. ورد في الحديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد

من الله إلا بعداً»[١] «ورب قائم حظّه من قيامه السهر»[٢]، والصيام يرقق الشعور ويدفع الصائم إلى الإشفاق على الفقير، وإلى تزكية النفس والارتفاع بها فوق المادة وشهوات الفرج والبطن، فمن لم يكن صومه لهذا فلن يؤجر عليه «رب صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش»[٣]. والزكاة تعوّد المسلم على السخاء والبذل وتدفعه إلى المساهمة بالتكافل الاجتماعي، وليس له فضل في ذلك، ولذلك أمره الله تعالى بالتواضع مع الإحسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٤]. أمّا الحج فرحلة إلى الله وترك لما في الدنيا وتفكُّرٌ بالكون، وما فيه من طبيعة وناس من جميع الأجناس ودعوة إلى التقشف والزهد وتذكير بيوم الحساب والتجاء إلى الله لمغفرة الذنوب، والبحث في هموم المسلمين في العالم ومشكلاتهم واقتراح السبل لحلها.

فلهذه العبادات كلها جانبان اثنان تقوم عليهما، جانب مادي فيها من حركات ظاهرة وأعمال معينة، وجانب روحي متصل بالله.. ومن قام بالأعمال دون الهدف الروحي لم يصل إلى حقيقة العبادة، ولم يحصل على الثواب الكامل من الله، ومن لم ترتكز عنده على أركان الإيمان وأساسه فإنّ في قلبه آفة وفي

(١) كنز العمال ٧/ ٢٠٠٨٣.

(٢) كنز العمال ٣/ ٧٤٩١.

(٣) المرجع السابق.

إيمانه اضطراب.. ولا يرضى الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه.

ثالثاً- الحياة الروحية

تؤدي أركان الإيمان وأركان الإسلام بالمسلم الحق كما ذكرنا إلى أن يعيش حياة روحية خاصة به تجلب إليه السعادة التي لا يشعر بها إلا المقربون من الله، الذين تسمو روحهم إلى رحابه.

وهؤلاء استغرقوا في الإيمان والإسلام، واهتموا بمعرفة الله، وسلكوا الطريق إليه بالأعمال الصالحة، وقامت أخلاقهم على صفات معينة.. فهم زاهدون في الدنيا لأنها زائلة يأخذونها من الطرق الحلال، وينفقونها في الحلال، لا يطمعون منها في منصب ولا جاه ولا شهرة، ولا يحبون الظهور، بل يؤثرون الخفاء، ولا ينافسون الخلق فيها، ومن أجل هذا يعيشون على التقشف في الضروري من المأكل الذي يقيم الأود، والملبس الذي يستر البدن، ويبتعدون عن الزينة وعن التنعم.

وهم في مجمل حياتهم لا يرون فاعلاً في الكون إلا الله، وتحققوا من أنه لا إله إلا الله، فلذا يرجونه وحده، ولا يخافون غيره، ويتصلون به يراقبونه، فلا يغيب عن قلوبهم، وما تزال ألسنتهم رطبة بذكره وقراءة القرآن والاستغفار، والتضرع إليه في الدعاء بأحوالهم كلها في السراء والضراء.. فإذا أنعم عليهم

شكروه وحده، وأكثروا من الثناء عليه وحمده ولا يمنعهم ذلك من شكر العباد إذا أسدوا إليهم معروفاً، ويعفون عنهم إذا أساؤوا، ، وإذا ابتلاهم الله ببلوى صبروا، وسألوه كشفها. ولا يتأففون.

وهم يعملون كما أمرهم الله لكسب قوتهم وإعالة أهلهم، ومع هذا يتوكلون عليه، لأنهم يعرفون أنه هو الرزاق وحده، ولم يعملوا إلا لأنه أمرهم أن يأخذوا بالأسباب وعملهم ممزوج بالإخلاص لله والعباد مع الإتقان في العمل لأن الله يحبه. وفوق هذا فإنهم يرضون بما رزقهم قليلاً كان أم كثيراً.

كل ذلك يكون منهم لأنهم يحبون الله من كل قلوبهم، ملأ عليهم حبُّه أسماعهم وأبصارهم وسرى في دمائهم وعروقهم.. فتعشقوه، واختاروا النور الذي كشف طريقهم إليه.

هؤلاء لهم حال خاص مع الله، وهم أولياؤه المقربون الذين ظهر منهم على امتداد التاريخ الإسلامي جماعة اشتهروا بهذا السلوك مثل الجُنيد، ورابعة العدوية، وإبراهيم بن الأدهم، والسري السقطي، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، وحاتم الأصم.. وشقيق البلخي.. وأسماء كثيرة، كانت حياتهم عجباً من العجب.

هذا وادّعى سلوك هذه الطريقة ناس سموا أنفسهم صوفيّة وليس لهم منها إلا الاسم.. فأساؤوا إلى الأتقياء، وغرّوا الناس بمظاهرهم، والله أعلم بأحوالهم.

وليس مطلوباً من المسلم أن يعيش كهؤلاء، وإنما المفترض عليه أن يعيش حالة التقوى وهي أن يجده الله حيث أمره، وأن يفقده حيث نهاه.. وهو معرّض للذنب. فإذا أذنب فتح الله له باب التوبة، فيرجع إلى الله دون واسطة بينه وبينه من البشر ولا حتى الأنبياء أو الصالحون.

والإسلام ليس دين الانقطاع عن الدنيا، بل هو دين للدنيا والآخرة، ولولا ذلك لما كانت التشريعات القرآنية تتناول أمور المعاملات الدنيوية في كثير من الآيات ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٢٨/ ٧٧].

على أنّ أمراً مهماً حرص عليه الإسلام هو البناء الروحي الداخلي؛ عُنِيَ ببناء الإنسان في نفسه أكثر مما عني ببناء المظاهر.. لإيجاد حياة روحية نفسية عالية.

openkalam.com